

## الأعداء



أرسلت لي صديقة رسالة هاتفية أضحككتني كثيراً حين قرأت الخطأ الذي ورد فيها، فبدل أن تكتب أحد الأصدقاء، كتبت أحد الأعداء، لكن حين أعدت قراءة الرسالة انتبهت انه لم يكن هناك أي خطأ بل مررت لي رسالة داخل رسالة من دون قصد.

وسألت نفسي: ترى من هم الأعداء؟ انهم الأعداء الذين يلبسون أقنعة الصداقة، ويقربون كالرفاق، ويشاركوك أفراحك وأحزانك كالأقرباء. هم العقرب الأقرب، وهم الكذب الأصدق، وهم تمازج الألوان بلون لا نعرف كنهه أو ماهيته. اختصرت أو اختزلت الصداقة في هذا الزمن بتمازج الحروف التي تكشف عن حقيقة أبعاد الصداقة في هذا الزمن، وحقيقة العداوة التي تقنعت بأقنعة شتى حتى بتنا لا نميزها، هل هي الوجه الحقيقي أو هي القناع الملون، ومن ذلك المحترف الذي يستطيع أن يكتشف الحقيقة المخبأة وراء الأقنعة، ومن الجريء الذي يستطيع أن يسقطها حال اكتشافها.

الأعداء إن عرفناهم نغلق الأبواب في وجوههم من دون خجل أو تردد، لكن إن لم نعرفهم نقع في شباكهم ولا نتمكن من

الخروج منها، كنملة سقطت في شباك خيوط العنكبوت لا خلاص لها إلا الموت

الواحد من أصدقاء هذا الزمن لا يحتاج لأقنعة كثيرة، هو يأتيك بوجهه من دون الحاجة إلى تغييره، يستغيبك وهو يعلم أنك تعلم كل تفاصيل هذا الاستغناء، ومع هذا لا تهزه معرفتك بحقيقته، ينادي بك في المنابر بأعلى صوت صديقي الصدوق، يصفحك بحرارة، سكينته بيده وهو يلوح لك بالتحية، يدعوك لمأدبة من السم الزعاف ويقسم أن هذا هو الطبق المفضل لديه لذا كان على رأس قائمة الطعام. ينظر إليك بدم بارد وأنت تتجرع سمه ثم يبتسم

أصدقاء هذا الزمن يدخلون بيتك بلا استئذان، يقتحمون حرماته، يكشفون عوراتهم، يدمرون محتوياتهم، ثم يصفحونك ويهزون يديك كأنهم سيقلعونها من كتفك، وهم يغادرون يبادرونك: سعدنا برؤيتك على أحسن حال، نتمنى أن تعيد زيارتنا في أقرب وقت ممكن، ابتسامه صفراء يجب أن تجمل وجوههم، فالأصفر من ألوان الربيع ولم لا

لم أجد من تتحقق فيه جميع المواصفات (الأعدائية) مثل الأصدقاء الغرباء الذي بعنا من أجلهم كل الناس، أولئك الذين كما تردد والدتي دائماً دامنا عطيناهم الخيط والمخيطة ليش نشتكى من طرايطيرهم، أي طالما أعطيناهم الخيط والابرة فلماذا نشتكى من ملابسهم البالية والمقطعة والمهلهلة. لقد زاد حجم هذه الفئة من الناس حتى صرنا نستشعر الغربة الأخلاقية، وعدنا لا نعرف الصديق من العدو، والقريب من الغريب، وكثر في مجتمعاتنا العربية المهزولون نحوهم، وأنا على يقين ليس حياً فيهم لكن على أقل تقدير اتقاء لشهرهم

السؤال ما الذي أوصلنا إلى هذه المرحلة من التقية، والتي تدفع بالكثيرين أن ينحروا أبناءهم على عتباتهم؟ لقد أصبحنا محكومين بهذه الفئة بشكل كبير، وحين نبحث عن الفرار، يحاصرنا من كل صوب أبناء جلدتنا، باسم الحوار مع الآخر، والاتصال المفتوح. ما الذي أوصلنا إلى هذا الضعف والخذلان المشين؟ وكيف السبيل للتخلص أو الفرار منها، ومن الذي أوقعنا أصلاً في هذه الفخاخ، أما من شجاع بيننا يتجرأ ويقتل العنكبوت

تعثرنا وما زلنا نتعثر، ومع هذا لا نحاول الوقوف وتجاوز العثرات، ولا حتى التنبه لعدم تكرارها، لو كانت العثرات فردية أو شخصية ما همنا، ولكن ما يعتصر القلب منه، عثرات جماعية كبرى نجر فيها جميعاً للانتحار الجماعي. ضاع الكثير من أوطاننا والأكثر آت في الطريق، وإن كان القابض على دينه كالقابض على الجمر، أصدقكم القول لم تعد لدينا أياد نقبض فيها على ما تبقى من هذا الوطن

الأعداء.. وما أدراك من هم الأعداء؟

نعم من هم الأعداء؟ استرجعت شريط حياتي وبحثت عن كم عدو خلته صديقاً، ضحك في وجهي فضحكت وفتحت قلبي وأمنتته الكثير.. الكثير ثم نحرني على عتبات حقه وعقده وأنايته. لماذا لا نتعلم من أخطائنا؟ لماذا قلوبنا مشرعة للخianat والكذب؟ لماذا أرواحنا أرض مستباحة يعيث فيها أشباه الذئاب والثعالب كأنها محميتهم؟ في النهاية نحن من ربي صغار الضباع كقطط أليفة.. فإن كبرت والتهمتنا لا نصرخ ولا نستغيث

[Maysoon1838@yahoo.com](mailto:Maysoon1838@yahoo.com)